

## حكاية بريق الزيت

وقف يرقب حركة الشارع . لفت نظره مشهد حمامتين تجتمعان على شيء ما . كسرة خبز ربما . لا بد ان تكون تلك التي على الشمال هي الانثى، فهي الأسرع، الأكثر انهماكا في التقاط حصتها من الزاد . حتما هي الانثى . الاناث دائما هكذا . يأخذن الحصة الكبرى حتى في أغرق المجتمعات ذكورية . في هذه يأخذن بالحيلة ، بالرياء ، بالمداهنة . وفي تلك يأخذن على المكشوف . والنتيجة هي أن حصتهن دائما هي الكبرى . أمه مثلا ، لها الحصة الكبرى في قلبه رغم كل اجتهادات أبيه ليحوز منه على مثل ذلك الحب . لسبب ما ، يرى نفسه دائما منحازا إليها في كل خصام يقوم بينها وبين والده . . . ساعي برید على دراجته بدا له ملكا . لا حيطان إسمنت تقيدته ولا اكواب شاي وقهوة ترتاد مكتبه . هو لا يحتاج لحيلة ما ليدخن سيجارته ولا رئيس قسم يتأفف غاضبا من تلكؤه . . . سائق يطلق شتيمة غاضبة لان سيارة تجاوزته . . . ما عدا ذلك فالشارع هادئ ليس فيه ما يزعج .

أحس بها تدخل الغرفة . التفت . كانت بعباءتها المخملية السوداء الموشاة بالذهبي كأنها واحدة من ملكات الشرق القديم، كان شعرها الاسود المنسدل فوق كتفين فخورين يكمل اللوحة الجمالية لأميرة من إميرات الف ليلة وليلة

- القهوة (قالت بلهجة محايدة)

دون ان ينطق بكلمة رشف رشفة من الفنجان الذي وضعته على المنضدة ثم استدار ثانياة صوب النافذة . رمقته بغيظ مكتوم . صرت على أسنانها . شعرت كأن نارا تسري في جسدها . تساءلت عن سبب هذا الصراع الصامت الذي يقوم بينهما . منذ أشهر وهما يبتعدان يوما بعد يوم عن بعضهما . . . عبثت بأصابعها النحيلة الملقاة فوق حضنها . تأملت خاتم الزواج الذي يزين يدها اليسرى ، دورته بأصابع يدها اليمنى عدة دورات وقالت في سرها

- خبا الحب قبل ان يخبو بريق هذا الخاتم

استدار عن النافذة والقى بثقله فوق الكنية المقابلة ، ضم رجليه النحيلتين وطواهما تحت جسمه . كان يريد ان يخفي ما به من تشنج بتلك الحركة التي تصطنع الهدوء . نهضت من مقعدها واتجهت نحو النافذة ، تأملت البيوت الحجرية الانيقة في الجوار . لفت نظرها بعض عمال يصلحون أعطالا في الطريق . استوقفها واحد منهم ذو عضلات مفتولة مزينة بوشم خفيف . بدت من الرجل التفاتة . التقت عيناه عيني امرأة جميلة بقطان مخملي كأميرات الف ليلة وليلة فابتسم أعجابا ثم ما لبث ان انهمك في عمله وفيما هو يداعب أصابع قدمه سألتها : ماذا قلت؟ لم تجب .

في الحديقة العامة المجاورة ، رأت عجوزين يتكئ احدهما على الاخر . تمتمت : انتهت ايام √ لا يفرقكما الا الموت √ وبدأ عهد تفرقهما حتى النظرة العابرة استدارت . احست وكان شيئا فيه طلب منها ذلك . كان لا يزال مجمدا فوق الكنية وبعيدا عنها . تقدمت نحوه ، جلست فوق السجادة ووضعت رأسها فوق ركبتيه

- لا تكابر يا أيمن (قالت بصوت ذاهل مغناج) . انت تحبني وانت تعرف انني احبك . وأحاطت خصره بذراعيها سرت نيران في بدنه (وقال بصوت عميق) طبعاً انا احبك هل قلت يوما غير ذلك؟

- وبنفس اللهجة المغناجة أضافت: يعني . . . يعني . . . تصرفاتك يعني . . . ومرغت وجهها فوق ركبتيه . ما تفعله يا حبيبي غلط . . . كبرياء لا لزوم له . . . غيرة في غير محلها

امتلاً قلبه بالدفاء وأقر انه لا يستطيع أن ينكر سحرها ، ولكنه أمسك عن إرضاء غرورها وقول ما تريد منه ان يقوله . ظل على صمته . حوّلت نظرها عنه وراحت تعابث الخاتم في إصبعها . عادت تقول بحيادية وصوت خفيض يوحي أنها إنما تخاطب نفسها: يغضبك ان يكون لي هذا المكان في قلبك . تكره حبك لي . تكره هذا الحب الذي يعيدك الى البيت في كل مرة يحصل بيننا خصام .

- نعم، نعم . أنت على حق . لقد انتصرت يا لى

- انتصرت! ! . . . وتسمى هذا نصرا؟! ! . . .

- ظل صامتا . . .

- انت لا تستطيع ان تحب امرأة . . . أي امرأة . ولا مرة قمت بمبادرة لإنهاء سوء تفاهم يقوم بيننا، في كل مرة ينشأ خلاف بيني وبينك أبادر أنا . أندس في جسدي . . . أحضّر الطبق الذي تحبه . . . ألبس الفستان الذي يعجبك . . . وأشتري الموسيقى التي تهدئ أعصابك

- رجاء لا تفعلي . . . لا تفعلي إذا كنت . . .

- إذا لم افعل ينتهي حبنا . تنتهي علاقتنا . أناني! أناني هذا هو انت! . . .  
بقي وجهه جامدا خاليا من أية تعابير

نظرت اليه فجأة. شدته اليها ثانية ودفنت وجهها بصدرة وقالت:

- لا تتجاهلني يا أيمن عندما أرمي نفسي في حضنك. لا تفسر حبي لك على انه ضعف.

- انت لا ترمين نفسك في حضني: (أجابها بحزم)

أبعدت راسها وغرقت في لحظة تأمل ثم قالت بصوت هامس

- ماذا تسمي تصرفي هذا. كان صوتها رصينا هادئا هذه المرة

- أنت تعامليني وكأنني دميتك الصغيرة. . . تتلهين بها وترمينها عندما تشائين

ابتعدت عنه وقالت بلهجة ساخرة مستنكرة

- أنا . . . أنا بعد كل ما فعلت من اجلك! . . .

رن جرس الهاتف

أجابت باقتضاب وإذ سألها من؟ قالت: ريشارد

- ومن ريشارد

- سأخبرك فيما بعد.

انتابته موجة استياء عارمة فقال : ببساطة انا لا اصدقك

صرخت مستهجنة: لا تصدقني! . ! يا للمصيبة! الرجل لا يصدق

- قصة ريشارد لا تبدو لي طبيعية باي شكل من الاشكال (قال بهدوء)

- المشكلة ليست بريشارد ولا بغيره. المشكلة فيك انت. بعقلك الاعوج. تعيش في سدني ومتخرج من أحسن

جامعة وتفكر مثل جدك. . . نظرتك للمرأة على أنها امتداد لك تجعلك عاجزا عن رؤيتي مخلوقا قائما بذاته . أن

يكون لي كياني شخصيتي المستقلة أمر لا تستطيع ان تستوعبه.

ظل صامتا فتركت الغرفة. بعد دقائق سمعها تنددن لحنا لعمر ودياب. أثار صوتها شجنه. صوت فيه لوعة, فيه

لهفة. . . كان لها صوتا جميلا الا انها تكسر اللحن فتغير في بعض الالفاظ. غناؤها كان دائما يشجيه, يلهب

مشاعره نحوها ولكن ليس هذه المرة. جاءت بعد دقائق باسمه وجلست قبالة على الطرف الاخر من المقعد.

- أووه ايها الاحمق! ! ألسنت طفلا صغير؟! . . . اقتربت منه، وضعت ذراعيها حول خصره، كانت تبتسم له

وتنظر اليه بعينيها الكستنائيتين الواسعتين ولكنه أحس عندما تلاقت نظراتهما ان ضبابا خفيفا لا يزال يعكر صفو

مشاعره إزاءها. . . تدفقت موجة من الدم في شرايينه وبدأ قلبه يستجيب برقة لمداعباتها متناسيا إحساسه ان ذلك

البريق في عينيها وتلك المداعبات التي توحى بالدعة والرضوخ ليست إلا لعبة من الأعيب حواء

- لماذا لا تترك نفسك تحبني سألت: ( تشنجت عضلات قلبه) هل لانك تخاف! . . .

- أخاف! ! . . . مم أخاف؟

- تخاف ان تصدق نفسك

وعمهما صمت جعله يتوتر. باستطاعتها ان تجلس هكذا إزاء أي تشنج بينهما, تداعبه تستفزه , تسخر منه

وتستعطفه. . .

- لماذا لا تتطلق معي على هواك؟ لا تترك عواطفك دون لجام؟ أتخاف ان أسلبك شيئا إذا ما انغمست في حبي

- تسليبي شيئا ما! ! . . . وماذا تسليبي؟!!

ساد الصمت ثانية بينهما فتلهت عنه بإشعال سيجارة. ضربت عود ثقاب فلم يعمل, رمته باهمال فوق الطاولة

وأشعلت آخر

- لماذا رجعت؟ سألت ببراءة

- أخبرتك. أريد سلاما بيننا

- سلام! ! . . . أي سلام؟! . . . منذ اشهر وانت لا تفعل إلا الحرب

- وانت لم تكوني ملاكا (أجاب هازئا)

- مهما يكن انا ضقت ذرعا. زهقت من الركض وراء إرضائك وانت لا تفعل شيئا بالمقابل. أحس بنفسني جوفاء

خالية من أية قيمة. أشعر انني منهكة. ببساطة يجب ان أرتاح. . . يجب ان ارتاح

انتفض الغضب في عروقه

- ترتاحين؟! . . . نعم يجب أن ترتاحي. ترتاحي من هذه المشاغل الكثيرة التي لا تنتهي. وظيفة ومنظمات وحماية

بيئة وجمعية متخرجين و . . . و . . . و

- أنا تعبانة منك. (وتناولت براسها في حركة ساخرة). . . تجاهلك لي هو سبب تعبي. هنالك أمر ما فيك لا  
استطيع تحديده هو الذي يتعبني. انت لا تفعل شيئاً لانقاذ حنبا. انت تستغل عواطفى. . .  
ابتعدت عنه فسقط رماد السجارة فوق السجادة الصينية الملونة. لمحتها ولم تبالي. جلس وغضب يملؤه ولكنه  
تصنع الهدوء وسأل: هل لي ان أسالك كيف انني استغل عواطفك؟!  
ظلت ساكنة. حاولت ان تجد كلمات تعبر بها عن مشاعرها . أخذت السجارة من فمها. وبحركة مستعطفة مدت  
يدها نحوه وقالت: انت تريدني على مزاجك بغض النظر عما اشعر انا به . انت لا تتركني لحالي. لم تعطني لا  
راحة ولا امانا.

- مثلاً . أعطني امثلة على اتهاماتك  
- لا اعرف كيف أعبر عما أشعر به، غير أن عدم الرضا عن حياتي يؤلمني  
ضربته موجة غيظ ثانية فقال:  
- أنت تتكلمين بالالغاز. كوني واضحة ومحددة. أذكرى وقائع, لا تتكلمي بالعموميات  
- أعرف. أنا عاجزة عن أن اضع افكاري في كلمات ولكن باختصار انت لا تحبني. أنا اعرض نفسي دائما عليك.  
ببساطة انت دائماً بعيد عني  
بقي صامتاً لوهلة ثم قال: (ماذا عن ريتشارد ؟ )  
كان الظلام قد بدأ يتسلل الى الغرفة. جلست صامتة لبرهة ثم اخذت السيكرة بين اصابعها قلبتها وقالت فيما هي  
تنظر اليها: إنني ذاهبة لملاقاته. صوتها كان حياديا وكأنه صادر عن شخص آخر.  
أحس برأسه ينسحق وبأنفاسه تضيق  
- من هو ؟ سأله ( رغم تأكده انها لا ترتبط بعلاقة ما, حتى ولو كان هنالك ريتشارد)  
- ستعرفه عندما يحين الوقت. عندما أعرفه اكثر  
- ولكن من هو؟  
- قلت لك ستعرفه في الوقت المناسب  
سادت فترة صمت  
- هل أت معك؟  
- هذا هو انت (قالت باستخفاف)

قامت الى النافذة, سحبت الستارة بهدوء وأضاءت مصباحا كهربائيا شحيا ثم عادت الى مكانها. جلسا صامتين  
قطع الصمت فقال بلهجة تتصنع الهدوء  
- إذا أنت ذاهبة الى هذا الريتشارد, الفارس الذي سيأخذك على حصان أبيض الى قصر الأحلام.  
- أنا لا اريد قصورا ولا احصنة . . . اريد رجلا بسيطا يحبني ولا يخجل من حبه لي . شخصا يجعلني احس  
بكياني وقيمتي في قلبه, يخاف على مشاعري يفخر بي ويحترم استقلاليتي.  
- إذا فانت تريدني احتراما لاستقلاليتك  
هه. ضحكت . لا حاجة لك بتأكيد ذلك. لا بد ان يكون اكثر مما هو أنت ليسلبنى هذا الاحترام  
- أستمحك عذرا! . . . ومن أنا لأفعل! . . . (أحس قلبه يمتلئ مرارة وغيظا)  
- سأذهب وأرتدي ثيابي

بقي دون حراك في مقعده. أحس ألما يعتصره. ضربت أحشاءه موجة لهب عارمة ثم تلاشت رويدا رويدا . لم  
يكن يريد ان ينفصل عنها في مثل هذا الظرف الحرج من علاقتهما, فافترقهما الان, تحت تأثير هذه الازمة, قد  
يؤدي الى إنهاء العلاقة . ربما لو ابتعد لبضعة أسابيع لأعطى لها ولنفسه فرصة مراجعة حساب. قد يستطيعان  
بعد فترة قصيرة تجاوز هذه الازمة وتنظيم افكارهما وإعادة الدفاء الى علاقتهما. . . أحس بدنه ثقيلًا ولا طاقة  
لديه للقيام باي عمل. فكرة ابتعاده عنها أزعجته ولكنه أحس أنه أمر لا بد منه. بإمكانه ان يقضي بضعة ايام عند  
صديقه منذر ثم يذهب بعدها الى ملبورن او غيرها. من الافضل إفساح المجال لها لمراجعة نفسها فهي الان  
جامعة في ثورتها وهو في النهاية لا يريد لهذه العلاقة ان تنتهي بهذه البساطة

كان لا يزال على جلسته إياها عندما خرجت من الغرفة في رداء مسائي انيق يضيء وجهها فتبدو اكثر جاذبية  
واغراء. أكثر ألفا وتوهجا. أكثر عنادا وحماسة. . .  
استدارت نحوه وقالت: هل تسمح لي بمفاتيح السيارة؟  
كان بإمكانها ان تذهب دون هذه المبادرة التي توحى بالمصالحة. هو يكره هذا الاسلوب الملتوي الذي تتبعه في  
تعاملها معه

- تريدين مني ان ابتعد لفترة؟ قال بلهجة هادئة  
- نعم . (أجابت جازمة)  
- حسنا، سأفعل. سأبقى عند منذر ليوم او يومين ثم أذهب الى مالبورن  
- إفعل ما يحلو لك. (قالت وفي نبرة صوتها شيء من تردد)  
- سأفعل لو كانت هذه إرادتك .  
- أنا تعب (قالت وانتحبت)  
- حسنا. أمل ان يريحك غيابي  
لم تعلق. أكملت ليس قفازاتها. استدارت ناحيته ودون ان تلتفت صوبه وقالت:  
- ستذهب إذا . . . باي باي . . .  
طريقتها الوقحة في الانصراف أثارت مشاعره، فكرها  
- سأبيت عند منذر  
- هل ستتصل بي من ملبورن؟  
لم يجب على السؤال بل قال: (لا تنسي معطفك)  
- لا، لن أنسى. وأخذت معطفها من فوق علاقة الثياب.  
- هل تريدين ان أذهب؟ (قال ثانية بلهجة توحى أنه يريد منها أن تقول لا)  
عقدت ما بين حاجبيها. ضايقها ان تقاوم رجاءه بالرغم ما يجيش به صدرها من ألم ولوم وغضب. لقد احبته,  
أحبته بصدق. ولكنه لم يفهمها. من الافضل ان تتحرر منه لفترة . رغم إحساسها بأن التصاقها به هو قدرها، إلا  
انها ارادت ان تبتعد  
- نعم. (قالت بلهجة تتأرجح بين التردد والجزم)  
- حسنا! . . . أجب  
اقتربت منه، طوّقت عنقه بذراعيها وقالت فيما هو يبعد خصلات شعرها عن وجهه  
- انت لا تكثر كثيرا لهذه المسألة. اليس كذلك يا حبيبي؟ قالت مداعبة  
- على العكس. إن هذه المسألة تعني لي الكثير. هي كل ما تتوقف عليه حياتي  
ابتعدت عنه مغتاظة وقالت بلهجة حازمة  
- يجب ان أخذ شيئا من الراحة.  
يعرف هذه النغمة الممسوحة في أحاديثها وبسببها يكبر نفوره منها، إلا انه رغم هذا لم يستطع التخلي عنها. ا  
- حسنا إذهبي واحصلي على راحتك عند ريتشارد  
- لم لا؟ (قالت باي باي وذهبت)  
سمعتها تعلق بالسيارة. قال في سره: هي حتما ذاهبة الى صديقتها ميساء

دخل غرفة النوم ليجمع حاجياته . ألمه منظر الغرفة. كانت تقول إنها تتخلى عن اي شيء في الدنيا لكي تنام معه.  
. . لا شيء يستحق ان تندم عليه ما دام ما معا. شيء ما قام بينهما خلال الاشهر القليلة الماضية. يوم بعد يوم  
يشعران أنهما أكثر تباعدا. هي تحسه أليّ وبارد وتتألم بعمق وهي تراه يتحول عنه. هي لا تزال ترغب فيه.  
جسده كان دائما شيئا مثيرا بالنسبة لها، ولكن هل كانت هي كذلك بالنسبة له؟! . منذ مدة وهي تشعر انه في  
جلساتهما الحميمة، لا يفعل أكثر من الاستجابة لغريزة محايدة. رأت نفسها تتمرد على جسده وترفضه، ولكنه لم  
يكن ليتركها تبتعد بل كان يحاصرها لا ليحبها بل ليجرها الى حظيرته. أحست أنها ستصاب بالجنون فهو لم يكن  
حريصا في لعبته ولم يسلك في سبيلها طريق الحذر والتمهل والدراية بل اقتحمها بوقاحة وعناد. ساءها أنه نجح  
الى حد بعيد في لعبته هذه، فقد أحست أنها يوما إثر يوم تتحول الى دمية يحركها حسب حاجاته ورغباته. رأت فيه  
دراولا يمتص دمها وحيويتها ويتركها جثة فارغة خلت من أي قيمة معنوية أو روحية

هو لم يفهل شيئا من هذا. هو أحبها. لم يكن يحتمل البعد عنها . جرب ان يسعدا ويعطيها ما تريد , ولكنه لم يكن  
يعي. لم يستطع ان يفهم سر هذه الشكوى والتأفف الدائم من معاملته لها. هو يعرف انها تحبه او بالاحرى انها  
أحبته وكانت مكنتية به وهو يعرف انه الرجل والحب الاول الحقيقي في حياتها. واما فيما عدا ذلك فقد كان هو  
نفسه. لم يستطع أن يفهم ما كانت تعنيه عندما تقول انه يستغلها ولا يبادلها حبا. ربما لأنه لم يفكر بها كشخص  
منفصل عنه أو ان لها حياة خاصة بعيدا عنه. جرّب ان يفكر بعقلها ولكنه لم ينجح . لم يستطع ان يمنحها السعادة.  
وهكذا نما النفور بينهما. الان يجب ان يعترف بالواقع ويبتعد. .

ثوبها المرمي باهمال فوق السرير, جرابها المتروك فوق السجادة على نفس الهيئة التي خلعت بها, دبابيس شعرها المتناثرة بفوضوية فوق طاولة الزينة, قنينة عطرها المتروكة دون غطاء. كل فوضويتها أمور محببة تشعره بالمرارة وتجعل قلبه يقسو عليها حتى وهو يحبها.

لم يذهب الى بيت صديقه منذر بل ذهب الى الفندق. في المصعد والنادل الى جانبه بدأ يعي أنه على مسافة ميل واحد من بيته ولكنه يحسه على بعد مئات الاميال. كانت الساعة قد قاربت التاسعة. دخل الغرفة التي سببت بها ليلته. غرفة حيادية كأى غرفة في فندق. الى جانب السرير مقعد وثير تحاذيه طاولة عليها بعض اوراق بيضاء وقلم حبر ناشف. فوق السرير رسم تكعيبي لم يستطع حل رموزه. نافذة الغرفة تطل على شارع فرعي مضاء من أحد جانبيه فقط. بعض افراد يمررون كالاخيلة المصعوقة, أيذهب رأسا الى النوم؟ . . بل يستحم لتمضية بعض الوقت.

في خزانة الحمام كان كل شيء مرتبا ونظيفا. المناشف بيضاء ومعطرة و كذلك باقي المحتويات. كل ما هو حوله يذكره أنه في فندق: حرارة الماء المستوية، التدفئة المعتدلة التي لا تتذبذب، حيادية الاثاث ونمطية ترتيبه. حاول من خلال تدفق المياه الدافئة فوق بدنه ان يعيد الحياة ثانية الى جسده الذاهل إذ منذ بدأت تتحول عنه بدأ تدريجيا يفقد الاحساس بجاذبيته وكبرياء رجولته الذي نما فيه منذ أحبها وتزوجها قبل بضعة سنوات. فقد التوهج الذي يملأ الرجل عندما يكون في حالة عشق متبادل. أمسى جسده مجرد نافذة لا قيمة لها. لم تستطع المياه ان تمنحه ما اراد ولا استطاع رذاذها الناعم الضربات ان يحرك فيه رغبة جسدية. تناول حمامه بروتينية مملدة، التف بالمنشفة المعطرة ووقف يتطلع من النافذة وقد أدركته حالة من الامحاء فكأنه ما عانى كل تلك الاحاسيس والمشاعر على مدى ساعة من الزمن ثم تذكر انها لا تعرف اين هو. أدار قرص الهاتف وترك لها رسالة على آلة التسجيل ختمها ب: الى اللقاء

انبطح على السرير واضعا يديه خلف رأسه وراح يتأمل الغرفة واللوحة المعلقة قبالة. احس عتمة تغلف روحه. تحركت فيه مشاعر ذكورية ضاق بها ذرعا. أحس انه محبوس في هذه البناية الكبيرة المتعددة الابواب. أحس رغبة في الخروج الى الفضاء ولكنه لم يفعل سوى ان حدق في العتمة

كانت أفكاره تحوم على غير هدى. فكر فيها تقضي ليلتها بتسليات برئية مع هذا الرمز ريتشارد. لم يعن له الامر الكثير ولم يذهب بعيدا في بناء تصور ما لذلك الـريتشارد. تساءل عن السبب الذي يدفعها للابتعاد عنه. لماذا بدأت تخمد بينهما تلك العاطفة الحميمة التي ربطتهما على مدى بضعة اعوام؟! . . اتراها سئمت هذا الارتباط؟! . . اتراها حنت الى السهل من حياتها السابقة الخالية من اي التزام؟! . هل بدا يضايقها ان يكون للجزء العميق من ذاتها اتصالا مع مخلوق آخر. هل كرهت ان تكون في شراكة مع احد؟! . . لا بد انها تريد ان تتحرر منه. كأنها لم تعد تحتل الحميمة اللصيقة التي جرها اليها. أرادت لحياتها ان تكون ملكها لا أن تتعرف على ذاتها من خلاله. لا تريد لهذه الذات أن تتجذر فيه. تريد ان تعود الى ايامها الخوالي تحس وتتفعل كما يحلو لها دون أن يكون لأي كان سيطرة على مشاعرها وانفعالاتها، متحررة من أي ارتباط أو التزام، وما هذا الرمز ريتشارد إلا مذبذبة أرادت بواسطتها إبعاده عنها. أحس ان جذوره تتفكك وانه يدور في حلقة غامضة ومضطربة كشيء مهدد بالافتقار من تربته

راودته هذه الافكار لساعات كان يهرب منها بين الحين والآخر بالتفكير في رحلته الى ملبورن. هجس بما يمكن ان يحصل له هناك

كأن ينسى معطفه في القطار. أو يختلط الامر على حرس الامن في الفندق فيخطون بين اسمه واسم شخص آخر متهم بالارهاب. أو يتورط في الكازينو ويخسر كل ما يملك من مال. أو أن يصادف ابن عمه فيخرج لكونه لا يصطحبها. أو لعل امرأة ما عابثة تبرز له فيعيش مغامرة عابرة تنسيه الى حين ما به من قلق واضطراب. جالت كل هذه الهواجس في ذهنه إلا أن فكرة رفضها له ظلت ماثلة وتركت أثرها في جسده، فنز ايدت دقات قلبه وأحس اختناقا في صدره وأطبق الظلام على روحه. دون ان يعي تألم تلك الليلة كما لم يتألم من قبل. حياته تدروها العاصفة، فلا العقل ولا المنطق ولا قوة الارادة بقادرة على إنقاذه مما هو فيه

في الصباح نهض خفيفا هادئا كأن هجعة النوم غسلته من أدران ليلة الامس. أحس صفاء ما بعد العاصفة. استحم وحلق ذقنه بتأن واتقان وخلال تناول الافطار في مطعم الفندق احس ذلك الاحساس الذي يحيق بالرجال المميزين

عاد الى الفندق ظهرا, كان هنالك رسالة مسجلة على آلة الهاتف  
(حبيبي ايمن، أنا انتظرك لنأخذ القهوة معا)  
أصغى الى الرسالة. أحس بتردد وحيرة. شيء ما قال له قاوم, لا تذهب. إلا أن ما حملته الرسالة من لهجة  
طفولية بريئة ونغمة اشتياق عذبة أضعف هذا التردد

.....  
كان إحساسه بالاذى والاهانة قد فارقه وهو يستقل المصعد الى شقته. أنها الشقة التي حضنت حبهما على مدى  
ثلاث سنوات. فتحت له الباب. بدت, رغم لامبالاتها المفتعلة, وكأنها كانت تنتظره متلهفة. ابتسم لها بود وقبلها  
فوق الرقبة. في غرفة الاستقبال كل شيء هادئ ومريح. الستائر الحريرية المنسدلة كشعر حورية شقراء,  
المقاعد بلونها الزيتي الهادئ، المزهرية الكريستالية التي تلمع ببراءة في زاوية الصالة، الزنبقات البيضاء  
الرشيقة القوام تألفت جميعها لتجعل من المكان لوحة فنية تبهج العين والروح

راحت تعد القهوة فيما اتجه هو الى غرفة الجلوس. هي غرفة واسعة بعض الشيء، يغمرها ضوء خريفي هادئ،  
أرضها مفروشة بسجادة صينية فاتحة اللون كالرخام غير المصقول وتنتهي اطرافها بورود رمادية وزهرية  
اللون، الارائك فوق المقاعد مبعثرة بعض الشيء كأنما فارقها جليس دون إعادة ترتيبها. غرفة تشعرك بالهدوء  
والبساطة وحرية الحركة والتصرف دون أن تحسب حسابا لما يمكن إتلافه او كسره . . . وصلت تحمل بيدها  
صينية عليها ثلاثة فناجين من القهوة وصحنا مليئا بالسكويات الخفيف الهش, بدت مشرقة وهي تضع الصينية  
على المنضدة. رجل شاب نهض من الطرف الاخر  
- تأخرت. . . توقعتك قبل ساعة. (قالت وهي تتطلع إليه بنظرات زائغة فيما راح هو يداعب علاقة المفاتيح دون  
ان يعلق على كلامها)

- إنه هنري, زميل ريتشارد (قالت مقدمة الرجل الغريب)  
شاب على وسامة, زاد عن العشرين بضع خطوات ولكنه لم يتعد الثلاثين. له عينان متوترتان ذو زرقة داكنة  
وشعر طويل داكن مشط الى الخلف وحاجباه المشدودتان الى أعلى يضيفان على هيئته شيئا من الاندهاش. تطلع  
صوب الرجل وانحنى قليلا على عادة التعامل مع الاوروبيين. أحس نفسه يسقط في رقعة غريبة مفككة النسيج.  
استعاد جلسته وحاول ان يظهر بمظهر الرجل الواثق من نفسه. فكر في كلام يخدم هذه الغاية ولكنه لا يجيد الكلام  
كثيرا مع الاغراب, خصوصا هؤلاء الاجانب الموترين بموضوع البيئة. ف شعر بشيء من الانهزام وانتظر حتى  
تتخذ المحادثة منحى آخر يستطيع المشاركة فيها  
بعد برهة أحسها زمنا, وقف الرجل مودعا واعدا بان يعود في مرة أخرى  
ابتسم ابتسامة آلية باردة وأطلق زفرة من تخلص من هم ثقيل  
جلسا صامتين للحظات ثم قطعت الصمت قائلة

- ننسق معا لحملة الاحتجاجات على مشروع شق الطريق السريع في منطقة أحراج بلو ماونت. حرام هذا  
التخريب للبيئة. مؤسف ما يفعلون بالطبيعة؟  
- ماذا يفعلون بها؟ سألها ببرود ولامبالاة  
- كأنك لا تعلم. كأنك من كوكب آخر  
- لنرجع الى عهد الحمير إذن  
- ولم لا؟ هذه المدنية هي سبب كل امراض البشرية  
امتأ قلبه بالغيظ. ماذا تريد من وراء هذا الادعاء الاجوف؟ إحتقر تعاطفها ورقتها التي بدت له كمؤسسة خيرية  
جوفاء تظهر الحنو والشفقة بألية ميكانيكية خالية من أي عاطفة حقيقية. قال في نفسه:  
- هذه هي المرأة. مخلوق لا قلب له. تتصرف بعطف ولطف وإنسانية ولكنها لا تعرف الحب ولا تريد للرجل  
مكانا في حياتها. هي هكذا دائما، منذ عهد جدتها حواء وهي مصدر ألم ومعاناة للرجل. وما بلفيس وهيروديا  
ودليله وحوريات الاغريق اللواتي ضلن اوليسس إلا شهادات على قسوتها وجبروتها

هلو! . . . قالت مستهزئة: هل وصلت الى قرار بشأن علاقتنا التعسة؟ انا أكيدة انك لم تفعل  
- انت ملكة في هذه الامور  
- وأنت ما هو أنت؟! . . .  
- إسمك يجب أن يكون ليما لا لمي

شعر بالغضب وانطفأت في قلبه كل رغبة عشقية تجاهها. هو يستطيع الان ان ينظر في تينك العينين الوداعيتين دون ان تتحرك في قلبه أية مشاعر ودية. أحس أنه يكرهها، وأحس بالسعادة لانها لا تعرف حقيقة مشاعره ابتمسم في سره وردد: (ممتاز! . خليها مخدوعة)

- عادت الى موضوع البيئة :

- أوه!! . . . لقد جعلني هنري احس بالنعاسة. لا احد يبالي بأمر الطبيعة. الناس جهلة استشاط غضبه، كيف يخرجها من هذا الانهماك الكاذب؟ كأن كل مشاكل البشر حلت ولم يعد إلا الشجر.

قامت تعيد صينية القهوة الى المطبخ . سألته  
- هل تبقى للعشاء ؟

- كلا . لا لزوم لذلك

- ولم لا ؟

علم من نبرة صوتها أنها تريده أن يبقى، ولكنها تكابر لتخفي حقيقة مشاعر ها . جلسا صامتين . ثم ما لبثت ان سألته

- ماذا فعلت

- لا شيء. نمت باكرا،

- هل نمت جيدا؟

- نعم. ( هذا التهذيب المراوغ! ! ما ابرعها فيه). اراد ان يذهب. بقيا صامتين لدقائق ثم قطعت الصمت قائلة  
- إلا تسألني ماذا فعلت أنا؟

- انا لا اهتم. انت قلت انك ذاهبة بصحبة شخص ما للعشاء

- لماذا لا تبالي بما افعله. ألا يهكم أمري؟

- ولماذا يهمني!! . . . إن كان كل أمرك هو إغاظتي.

- هه!! . . . إغاظتك!! . أنا لم أفعل شيئا لإغاظتك. أنا امرأة واقعية وجادة في كل ما أفعل

- حتى موضوع ريتشارد

- نعم. . . يجب ان يكون هنالك ريتشارد . وكأنك تهتم

- لو انك لا تكاذبين لكان الامر اقل سوءا

- انت لا تهتم لأمرى. قالت بتذلل

- قولي ما يحلو لك

- وانت ألم تفعل شيئا البارحة؟

- تحممت ونمت باكرا. وسرح بنظره بعيدا عنها

- لا ، هذا واضح انت لا تهتم لأمرى.

لم يزعج نفسه بالاجابة، بل تطلع الى ساعته. إنها السادسة.

هل ستذهب الى مليونر غدا

- نعم. . . سانزل في الشيراتون. تعرفين رقم الهاتف. تستطيعين مكالمتي (قال متمهلا كمن يرغم نفسه على الكلام)

....

- ساغيب لمدة شهر تكونين في اثنائه مرتاحة وحررة.

هذا صحيح (قالت في سرها) ومازجها شعور بالمرارة لهذه القسوة واللامبالاة التي تضمنتها إجاباته.

هو، من ناحيته، كان يشعر بثقل في صدره وصعوبة في التنفس. لقد احس ان هذا الانفصال الجسدي هو خطوة

نحو انفصال أكبر , انفصال روحيهما. هو إقرار بان الزواج قد فشل، وهذا أمر يشقيه. لقد بنى كل حياته مذ

عرفها على طريق واحدة وقاوم في سبيل ذلك الكثير، وتشاجر مع كل من وجه اي انتقاد لعلاقتهم. تحدى امورا

كثيرة وتخلى عن امور كثيرة ومع ذلك هي تتهمه بانه لا يحبها. شد بعنف على مقبض المقعد. هل ان هنالك شيء

ما فيها؟ هل ان ما أرادها منها هو العلاقة فقط؟. . . رضى النفس الذي يحسه الرجل وهو في علاقة مع امرأة حتى

ولو لم يكن حبا مكتملا؟ المؤسسة الثابتة التي تمنح الرجل بيتا وشعورا بالانتماء الى مكان تقيم فيه امرأة غير تلك

المدفوعة الاجر؟ امرأة تهتم به لذاته لا لأجر الذي يدفعه؟ الخلاص من العزوبية ونشدان الرفقة التي تجعل

الامور اسهل؟. هل كانت هذه هي الاشياء التي تهتمه في هذه العلاقة وليس العلاقة بحد ذاتها؟! . . . ولكنه أرادها هي

وهذه الاشياء فما الخطأ في ذلك؟ ربما يكون قد اخطأ بحقها ، ممكن!! . . . لقد كانت جادة بقولها. وما تقوله

بجدية يجب ان يصدقه. إنه في النهاية تعبير عن ذاتها. . شعر انه تعس.

عندما تطلع اليها كانت تتكوم فوق المقعد تحديق في باقة الزنبق وتقضم أطرافها بعصبية وكأنها لا تدري ما تفعله. علم انها هي ايضا تعاني، أن شيئا ما يحرقها، الفلق في نظرتها، الاستسلام، اللهفة، امور جعلته يذوب شفقة عليها - لا تقضي أطرافك (قال بهدوء)

وبكل طواعية أخذت يدها من فمها. . بدأ قلبه يضرب بقوة . بدأ يشعر ان جو الغرفة يتغير. فبعد ان كانت ثقيلة الظل مقفورة كصندوق كبير أخذت تبدو الان اكثر ألفة كأنها تشاركه تغير انفعالاته. أعاد التفكير باتهامها له انه لا يحبها. عاد قلبه يخفق كعصفور صغير في قفص. هو متأكد انه يحبها ولكن على طريقته, أيمن أن تكون طريقته خاطئة؟ طريقته هي حقيقته، هي ذاته. هل ان هنالك خطأ ما فيه هو؟ شيء لا يمكنه من الحب الحقيقي؟ خطأ في صميم كيانه؟ . . هو لا يحس أن كيانه يشكو من شيء البيتة. صارح كسمكة هوجاء في شبك صياد مكرر. هو لا يريد ان يقر بان طبيعته ناقصة. اين هو النقص؟ هل هو امر فيزيائي؟ قالت إنه لا يستطيع الخروج من ذاته وأنه لا ينفعها لانها غارق في ذاتيته. ماذا كانت تعني بذلك؟ هو لا يرى اي عيب في نفسه وقلبه يقول له إنها تحبه وإلا لما اهتمت لما فعله او يفعله.

حكايتهما أمست مثل حكاية بريق الزيت. يجب ان يذهب، يقضي ليلته في شيء ما، يتخذ عشاء خاصا في الفندق او يذهب الى المسرح - حسنا. يجب ان أذهب

لم تجب. اكتفت بالنظر اليه وابتسامه مجاملة متحفظة في وجهها دلت على انها تتألم. برقت عيناه دون ان تعبر عن نصر ما واحترار في تفسير هذه النظرة وهذه الابتسامة. هل أن ما رآه هو تراجع ورجاء ام هو كبرياء مقتنع؟ أحس ان صدره يكاد يسحق وأنه غير قادر على التنفس الطبيعي - حبيبي!. . (قالت, في إشارة مسرحية وشفاه تقترب منه وعينان تتسعان التماعا) لم يشعر أنه المعني بذلك فقال وعيناه تحدقان فيها: ماذا ؟

- اووه يا حبيبي!. . (قالت بدلال وابتسامه مواربة) ثم انزلت عن المقعد وأنت نحوه ووضعت يدها بتردد فوق شعره. إندفع دم حار في جسده وتحول الالم في عروقه الى فرح كمثل من تخلص من شيء يثقل صدره وحلت عليه راحة ناعمة عندما لامست اصابعه نهدها. شد رأسها الى صدره, ارتجفت يده فيما هو يضغط برأسها صوبه وشعر ان كل مشاعر الغضب والاشمئزاز والرفض والكره قد فارقت. شعر الحياة تدب ثانية في أوصاله. كل ما عاناه امسى رمادا. هي الان تحبه وكل معاناة عاشها من جراء احساسه انها لا ترغب به تلاشى. . . امسى تنفسه مريحا وعميقا وبدون اي تفكير ضمّ رأسها الى صدره. أمن بها من جديد

تطلعت نحوه طفلة مرحة تدعوه بشفاهاها، انحنى ليقبلها وحالما اغمض عينيه ليبدأ قبلته لها رآها هي ايضا تغمض عينها. ما اجمل هذا الشعور بالرضى والمصالحة

- هل تحبني؟ همست بإثارة مترفعة,

لم يجب. بل أحاطها بذراعيه بحنو. أحب الملمس الحريري لشعرها ورائحته الطبيعية. از عجنه تلك الدبابيس المنتشرة التي تعيق تحرك يده . . . لم يفهم ما حصل له الا ان الهدوء عمه . راقبها في هدوئه العامر, غصة صغيرة كانت لا تزال تعكر صفاءه . كانت محبة عطوفة, مشرقة تضحك كطفل سعيد - يجب ان أضع صينية البييتزا في الفرن (قالت)

لماذا سحبت نفسها من بين ذراعيه لتضع صينية البييتزا في الفرن ؟

وفيما هي منشغلة بأمر العشاء قام الى الستائر يرخيها واضاء المصباح الذي يرقد في الزاوية فانبعثت إنارة شحيحة ذات دفء شاحب محبب

عادت اليه بعد دقائق. رفعت ذراعيها نحوه بإثارة مقتصدة. التحما ببعضهما, جسدا لجسد, كانت اندفاعا مشاعره هائلة , شعر بنفسه يضطرب ويشتعل بنعومة وهدوء بين يديها . هذا التواصل معها كان أقوى من الحياة والموت, الا ان تنهيدة ما كانت تكمن في قاع قلبه

كانت مرحة ومغرية على العشاء لقمته من يدها وكعاشقين مراقبين انتظرا هبوط الليل. إلا ان شيئا من مرارة الليلة الفائتة عكر صفو مشاعره

- انت لن تذهب الى ملبورن غدا. (قالت وكان الامر ثابت ومقرر)

سكبت في صحنه أفضل ما على المائدة من طعام وملأت كأسه بالعصير ووضعت الثلج فيه, تماما كما يحبه. امر كان يبدو طبيعيا فيما مضى, إلا أنه الليلة ذا دلالة خاصة. أحس بفرح خجول. تذكر بعض الابيات الشعرية التي كانت تحبها. هو شخصيا لم يكن يعرفها بل تعلمها منها



لأني أحبك , أصبحت أجمل  
ويعثرت شعري على كتفي. . .  
طويلا . . طويلا .

لا تقبلني بعنف  
زهرة الرمان ليست تتحمل. .  
لا تقبلني. .  
فلو ذاب فمي. .  
ماذا ستفعل؟

كانت تطلع في عينيه بين الحين والآخر وتقول كلاما جميلا يشعره بالرضى والسعادة ولكنها سعادة مغلقة بضباب  
التلاشي، إذ قد يكون ما هي فيه ليس أكثر من موجة فوران عاطفي مفاجئ يضربها الى حين فتتوجه فارسها  
وأمرها. أو قد يكون ما بها ليس أكثر ما في طفلة مدللة اختارت أن تستسلم لدميتها، وهو ليس أكثر من فارس  
وأمر في لعبة اطفال. . . لقد احب ذلك ايضا واحب النظرة الحانية التي كانت ترمقه بها. لحظة, وعاد الالم  
الخفيف ثانية. لقد أحبها ولكن من الصعب ان يكون سلاما بينهما. قد تحضنه اليوم وترفسه غدا, كمثل ما تفعل  
العشيقة المزاجية بعشيقها، وربما كان هذا سببا إضافيا لهيامه بها. قد تكون ظنونه هذه حقيقة مؤكدة, ولكنه الان  
ليس على استعداد لتصديقها والانصياع لها. فكل ما كان وكل ما يمكن أن يكون ليس ذا بال. الان هي تحبه وهذا  
هو الالم. . . هذا المساء يحس نفسه أميرا, ما هم لو خلع غدا؟! .

عينها واسعتان وجميلتان تلتمعان بمزيج من اندهاش وابتئاس كأنما علمت ما يجول بخاطره وأنه لم يعد اليها  
تماما. وإذ شدها اليه , تمتمت بإغراء: √يا حبي ويا أميري√. غلغلت أصابعها في شعره , تلاعبت بخصلاته  
متناسية كل ما كان بينهما من خصام . أحب ما تفعله. أحس رؤوس اصابعها تتغلغل في شعره وهي تقول : مثل  
ابولو . رفعت وجهه بين راحتها، تأملته بشغف وابتسمت ابتسامة حب حانية وقبلته. أحب ما تفعله ولكن شعوره  
بالمراة لم يفارقه كليا. قلقه على ما يمكن أن يكون شأنها في الغد أشعره بالغم. أحس أن عاطفتها موجة عابرة  
سوف تنتهي في الغد. عرف أنه ليس أميرا, هو لا يشعر بأنه أمير حتى وهي تتوجه وتقبله  
ضمها بعنف وقبلها. بعد القبلة أمسكها بانفعال عميق وكالألم تدرجت الكلمات من فمه

- هل تكونين لحيي ودمي يا لحي؟

- نعم يا حبي. ( اجابت منفعة)

عض على شفته بألم.

- ولكن يا لحي انا اعني, قلب لقب, وروح لروح, وجسد لجسد

شددت من قبضتها فوق ذراعه دون ان تتكلم. عرف هو وعرفت هي: أنها تتملص من الإجابة

نجمه حبيب  
سدني استراليا

